

منبر المحراب

معالم الوحدة الإسلامية

من خلال روايات أهل العصمة (ع)

السنة الخامسة عشرة

العدد ٨٢٣ - ربيع الأول / ١٤٣٠ هـ

الموافق ٣/ آذار / ٢٠٠٩ م

محاور الموضوع الرئيسية:

- أصالة الوحدة
- أصول الوحدة في الدين الإسلامي
- ما هي الوحدة المرجوة؟
- ثقافة الوحدة لا الفرقة.

الهدف: التعرّف الى مفهوم الوحدة

الإسلامية، وأهمية تألف المسلمين وتآزرهم واجتماعهم من خلال روايات النبي وأهل بيته (عليه السلام).

تصدير الموضوع: قال الله تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠١)

١- أصالة الوحدة: لقد حرص الإسلام

في نظره إلى الإنسانية على إرساء قواعد الوحدة بين أفراد الإنسانية جمعاء، فلا مائز لا من حيث الأجناس، أو الألوان، أو الأقالي، بين أفراد البشرية، فالجميع من نفس واحدة، وطينة واحدة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا..﴾ (النساء: ١)، وحتى الاختلاف الشكلي أو الظاهري الموجود لجهة اللون أو اللغة ونحوهما هو آية من آيات الله لها حكمته وفلسفتها الخاصة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ أَلْسِنَتَكُمْ وَتِلْكَ آيَاتُ الْغَايِبِ﴾ (الرؤم: ٢٢).

ولهذا يمكن القول إن الفرقة القسرية التي تفرسها طبيعة الأرض والمساحات أو المسافات، لا تلغي أو تحرف مبدأ التلاقي الإنساني بين جميع بني البشر، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات، ١٣). فمبدأ التعارف القرآني هذا يلغي المسافات ويقرب القلوب، ويفرض على الجميع نوعاً من الإلفة والمحبة والتعاون والإيثار وهي أهم ركائز الوحدة المرجوة.

٢- أصول الوحدة في الدين الإسلامي:

لقد اعتبر القرآن الكريم أن مبدأ الوحدة من الثوابت والأصول الفكرية للبشر، التي تركز عليها منظومة الأخلاق والقيم التي تشكل الرابط الأهم بين المجتمعات الإنسانية. ويتضح هذا الأمر لكل من يلقي نظرة عامة إلى القرآن الذي يخاطب الناس جميعاً في الكثير من الآيات: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، ﴿يَا بني آدم﴾، ﴿والعالمين﴾، ﴿ليظهره على الدين كله﴾، (التوبة: ٢٢)، ودعا في آيات أخرى إلى الاعتصام والتلاقي والتوحد، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ البقرة: ٢١٤، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ آل عمران: ١٠.

هذا كله إلى جانب وحدة الإله، والنبي المرسل (عليه السلام)، والكتاب المنزل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبا، ٢٩)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨).

وورد في السنة الشريفة: (لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا) كنز العمال، ج ١، ص ١٧٧. (عليكم بالجماعة وإياكم الفرقة) سنن الترمذي، ج ٤، ص ٤٦٦.

٣- ما هي الوحدة المرجوة؟ إذا كان الدين الإسلامي قد حرص على الوحدة الإنسانية فضلاً عن الوحدة الإسلامية بين أبناء هذا الدين الذي اهتم بتفاصيل العلاقة بين أفرادهم فضلاً عن كليتها وأصولها، والتي تضمن - لو أتبع - حياة سعيدة وهادئة لكل

البشر بل المخلوقات الحية. فأَيَّ وحدة تلك التي ينبغي أن تحكم علاقة المسلمين بين بعضهم البعض، وترسم معالم العلاقة مع الآخر؟

هنا يمكن القول وبسهولة إن مختلف عناوين الوحدة وأشكالها وصورها القائمة على المجاملات - التي لا تتعدى حدود الأنفاط والشكليات - لا يمكن لها أن تحقق أدنى غاياتها ولو كانت بأفضل صورها وأجملها وأرقاها، وليس هي التي يطمح إليها المسلمون الحريصون على قدسية الإسلام ومصالح بنيهِ وحفظ ثوابته العقائدية والفكرية، ولهذا فإن الوحدة المرجوة هي تلك الوحدة المرتكزة على الأصول الوجدانية للبشر التي ذكرها القرآن الكريم، إضافة للأصول والفروع التي ابنتها عليها الشريعة الإسلامية، وكلف بها أبناءها وغيرهم، والتي من المفترض أن تقضي على ظاهرة التفرقة والتباين والتكفير ونحوها، وتلقي كل المعوقات المصطنعة أو المدسوسة أو المنحرفة التي تمنع تلاقي المسلمين ووحدتهم. فقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائرُه بالحمى والسهر» (المحجة البيضاء ٣: ٢٥٧).

٤- ثقافة الوحدة لا الفرقة: تؤكد النصوص الإسلامية على العديد من المفاهيم والقيم التي تساهم في تكريس ثقافة الوحدة وممارستها في المجتمع، منها:

أ- المسؤولية تكليف عام: جعل الإسلام كل مسلم مسؤولاً في بيئته الاجتماعية، يمارس دوره الاجتماعي من موقعه، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (جامع الأخبار: ٢٢٧)، ودعا (عليه السلام) إلى الاهتمام بأمور المسلمين ومشاركتهم في آملهم وآلامهم، فقال: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم» (الكافي ٢: ١٦٣).. ودعا الإمام الصادق (عليه السلام) إلى الالتصاق والاندكاك بجماعة المسلمين فقال: «من فارق جماعة المسلمين قيد شبر،



إليه يصعد الكلم الطيب

الكلمة ليراد بها كل نوع من الارتباط الشديد الفكري والعملية والذي يستيقظ غالباً معنى ومفهوماً سليماً. وبديهي أن العلاقات غير المنطقية بالنسبة إلى شخص ما أو عقيدة معينة أو شيء من الأشياء تقود الإنسان إلى اللجاجة والتقليد الأعمى بالنسبة إلى ذلك الشيء أو الشخص، وبالتالي سيكون العامل المهم في بروز أنواع النزاعات والحروب والاختلافات المستمرة بين البشر.

وإن الأضرار والخسائر الكثيرة المترتبة على هذه الرذيلة الأخلاقية قد سوّدت صفحات التاريخ البشري وواجه الأنبياء والرسل بسببها مشاكل كثيرة في طريق هداية الناس إلى الله والحق وسكنت بسببها الكثير من الدماء، وتحوّلت طاقات وإمكانات البشر الكبيرة إلى سيل مخرب بسبب الجهل والتعصب، ولهذا ورد الردع عن التخلّق بهذه الصفة، والتلبّس بهذا السلوك، فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ عَصِيْبَةٍ بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ أَعْرَابِ الْجَاهِلِيَّةِ» (أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٠٨ (باب العصبي)).

ونقرأ في حديث آخر عن النبي الأكرم ﷺ قوله: «لَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ دَعَا إِلَى عَصِيْبَةٍ، وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصِيْبَةٍ، وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ مَاتَ عَلَى عَصِيْبَةٍ» (سنن أبي داود، ج ١، ٥١٢١). وجاء في الخطبة المعروفة بالقاسية عن أمير المؤمنين ﷺ في نفي التكبر والتعصب وأن هذه الحالات هي السبب الأساس في انحراف إيليس وشقائه وأن الله تعالى عندما أمر الملائكة بالسجود لأدم فسجدوا إلا إيليس قوله: «اعْتَرَضَنَّهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَحَرَ عَلَى أَدَمَ بَخْلَفَهُ وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ. فَقَدَّاهُ اللَّهُ إِمَامَ الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفَ التَّمَسُّكُ بِرَيْنِ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ» (نهج البلاغة، الخطبة ٤، ١٩٢٤). وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ تَعَصَّبَ أَوْ تَعَصَّبَ لَهُ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَ الْإِيمَانِ مِنْ عُنُقِهِ» (أصول الكافي، ج ٢، ص ٣٠٨).

خاتمة: لا بد من الإشارة أخيراً إلى أن المسلمين لا يعانون مشكلة أو خللاً في الأسس النظرية للوحدة، بل إن أهم ما تحتاجه وحدة المسلمين هو التوافق على منهج علمي جاد وجريء ومشارك لقراءة المبادئ والأصول التي وقع الاختلاف عليها.

الزنا، إن الرجل قد يزني ويتوب، ويتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه» (وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٨٤، باب تحريم اغتيال المؤمن..)

وأخبر النبي ﷺ أن النّمام يعضب في قبره. وأخبر أن النّمام لا يدخل الجنة يوم القيامة، فقد روى عنه ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة نّمام» (م.ن، ج ٩، ص ١٢٩، باب تحريم الطعن في المؤمن)

ج- عدم الخضوع للشيطان: يؤدّ الشيطان إيقاع العداء والتشاحن بين المسلمين، قال الله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ» (المائدة، ٩١) وقال الإمام الصادق ﷺ: «لا يزال إبليس فرحاً ما أبتجر المسلمان فإذا التقيا اصطكت ركبته وتخلعت أوصاله ونادى ياويله ما لقي من الثبور» (الكافي، ج ٢، ص ٣٤٦، باب قطيعة الرحم)

د- إصلاح ذات البين: قال الله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (الحجرات، ١٠). وقد أولت الأحاديث موضوع الإصلاح بين الناس أو إصلاح ذات البين أهمية فائقة، إلى حد أن النبي ﷺ لم يجز التهاجر بين مسلم وآخر أكثر من ثلاثة أيام. فقال ﷺ: «ولا هجر فوق ثلاث» (تاريخ بغداد، ج ٥، ص ٢٦٥)، وقد استوجب المتهاجران لعنة الله تعالى.

وقال الإمام الصادق ﷺ: «صدقة يُحبها الله: إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتصارُب بينهم إذا تباعدوا» (الكافي، ج ٢، ص ٢٠٩، باب الإصلاح بين الناس)

وأكدت الأخبار في العديد من الموارد على تسمية الإحساس بالمسؤولية الإسلامية المشتركة، والاهتمام بأمر المسلمين، والمواساة بينهم، واتحادهم مقابل الأعداء، مثل: «من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس بمسلم، المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه، وهم يد واحدة على من سواهم... وأمثالها من الروايات المشهورة التي تخلق هذه المشاعر الإنسانية.

هـ- دم ثقافة التعصب: (التعصب) من مادة (عَصَب) وهي في الأصل بمعنى الخيوط العصبية والعظمية التي تربط بين مفاصل العظام والعضلات، ثم استعملت هذه

فقد خلع ربة الإسلام من عنقه، (الكافي ١ : ٤٠٥)، ودعا الإمام علي ﷺ إلى استخدام الأساليب المؤدية إلى الألفة والمحبة، ونبذ الأساليب المؤدية إلى التقاطع والتباغض، فقال: «لا تغضبوا ولا تغضبوا، اهشوا السلام وأطيبوا الكلام» (تحف العقول، ١٤٠)

وقد وضع الإسلام منهاجاً متكاملًا في العلاقات قائماً على أساس مراعاة حقوق أفراد المجتمع فرداً فرداً وجماعة جماعة. وتتمثل هذه الحقوق العامة في الالتزام بالأوامر الإلهية، ومن الأوامر الإلهية الجامعة لجميع الحقوق قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» النحل، ٩٠..

فالتقيد بهذا الأمر الإلهي يعصم الإنسان من التقصير في حقوق المجتمع، ويدفعه للعمل الجاد الدؤوب لتحقيق حقوق الآخرين وأداء مسؤوليته على أحسن وجه أراد الله تعالى منه.

ب- واجبات المجتمع الوحدوي: أكد رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام على التآزر والتعاون والتواصل والتحابب ليكون الود والوئام والسلام هو الحاكم في العلاقات الاجتماعية بين الفرد والمجتمع وبين الأفراد أنفسهم، ويبرز ذلك في العديد من الروايات، منها:

- المداراة والرفق، قال ﷺ: «مداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش» (الكافي ٢ : ١١٧)

- إدخال السرور على المؤمنين: قال ﷺ: «إِنْ أَحْبَبَ الْأَعْمَالُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِدْخَالَ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» (الكافي ٢ : ١٨٩).

- صدق الحديث وأداء الأمانة: قال رسول الله ﷺ: «أقربكم مني غداً في الموقف أصدقكم للحديث، وأداكم للأمانة، وأوفاكم بالعهد، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس، تحف العقول ٣٢.

- النهي عن إشاعة الفاحشة: قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (النور، ١٩).

- النهي عن الغيبة والنميمة: في الحديث: «إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من